وحدة الفعل وتعدّد الفاعل في النص القرآني

الأستاذ المساعد الدكتور أحمد رسن صحن
جامعة البصرة ـ كلية الآداب

الملخص: هدف البحث هو دراسة الفعل الواحد الذي يُسند إلى أكثر من فاعلٍ في القرآنِ الكريمِ لفهم الرؤية القرآنية المختصةِ بالفعل وعلاقاته بالفاعلين . وقد ظهر أنَّ الفعل قسمان فعل أصيل ينسب إلى الله تعالى. وفعل تابع ينسب إلى المخلوق. والفعل الأصيل مطلق لإطلاق فاعله أو محدودٌ بحدود الاسم الإلهي الذي ينشأ عنه. والفعل التابع محدود بحدود فاعله. إنَّ إثبات الفعل الإلهي هو لمناسبة دلالة الفعل للكمال وقبول متعلّقه لذلك الكمال. ونفي الفعل الإلهي بسبب غياب المناسبة بين المتعلّق والفعل الإلهي. وتوجد علاقتان بين الفعلين الأصيل والتابع وهما الاشتراك المعنوي ويعني وحدة المعنى. والتغاير المعنوي ، فقد تحوّل الفعل الأصيل من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي في بعض السياقات القرآنية ؛ لتتحقّق المناسبة بين هذا الفعل وبين فاعله الله تعالى.

مدخل: وحدة الفعل وتعدّد الفاعل : لم أجد تعريفًا لوحدةُ الفعل في الدراسات النحوية القديمة والحديثة وأقصد بها " الاشتراكُ في أحرفه والاتّحادُ في أصل اشتقاقه. و تعدّد الفاعل يعني كثرة الفاعلين إذ يسند الفعل الواحد إلى أكثر من فاعل في سياقاته المتعدّدة. فإذا اتصف الفعل بوحدته والفاعل بتعدّده وكثرته سيكون التركيب منهما موضوعَ هذه الدراسة . مثل الفعل "كتب" تارة يسند إلى اسم من أسماء الله سبحانه كنسبته إلى "الله" في الآية﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[المجادلة:٢١]. وكنسبته إلى "ربّكم" في قوله ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى

نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[الأنعام: من الآية٥٤]. وتارة ينسب إلى بعض الناس كقوله﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾[البقرة:من الآية٢٨٢]. والباحث سينظر إلى الفعل برؤية جديدة تتجاوز الرؤية القديمة التي تقسّمُه على فعل خبري وفعل إنشائي ، وكذلك تتجاوز الرؤية التداولية الحديثة في نظرية أفعال الكلام وأقسامها المتعددّة. فهذه الرؤية الجديدة في البحث تعتمد على المعارف القرآنية التي تقدّم رؤية توحيدية محورها الله تعالى وأسماؤه التي تدور حولها جميع المفاهيم القرآنية الأخرى. ومنها الأفعال التي تتّحدُ في بنيتها اللفظية. وقد تشترك في المعنى أو لا تشترك . وهذه الأفعال يمكن أنْ تقسم على قسمين بالنظر إلى علاقتها بفاعلها ، وعلاقتها بمتعلقاتها وهناك علاقة معنوية بينهما ؛ لذلك اتخذ البحث ثلاثة محاور في ثلاثة مباحث هي : الفعل الأصيل ، والفعل التابع والعلاقة المعنوية بينهما.

المبحث الأول : الفعل الأصيل : يلج الباحث إلى الفعل القرآني ذي الأصل الواحد لمعرفة الأصالة في الفعل والتبعية من بوابة وجوده وتحقّقه في الخارج الذي يُحيل عليه النص القرآني ، أو إمكان وجوده في العالم المناسب له ، ونسبته إلى ذلك العالم بعد أنْ يتجلّى ويظهر ، وينتشر فيه ، ويتلبّس به الفاعل. ويمكن أنْ يقسم الفعل وإن كان واحدًا في اللفظ على قسمين : الفعل الأصيل ، والفعل التابع. والفعل الأصيل هو الفعلُ الصادرُ عن الله تعالى من غير أنْ يحتاج إلى فاعل آخر يحقّقُه. والنص القرآني يصرّح((أنَّ كلَّ كمال مفروض فهو لله سبحانه بالأصالة ، وليس لغيره شيء إلا بتمليكه تعالى له ذلك من غير أن ينعزل عما يملكه ، ويملَّكه كما ننعزل نحن معاشر الخليقة عمّا ملكناه غيرَنا))[1] وقد أُسند الفعل الإلهي إلى اسم من أسمائه الحسنى وهي كثيرة ، فهو يستند في إنجازه إلى اسم إلهي أصيل يكون فاعلًا حقيقيًّا له. ولهذا الفعل الأصيل معنى أصيلٌ جوهريٌّ ينشأ من المناسبة بين الفعل والاسم المسند إليه. كالفعل "رزق" له معنى مستودع في الاسم "الرزاق" منتزع منه ومنبثق منه ؛ لأنَّ طبيعة الاسم الرزاق تقتضي حصول أفعال الرزق

وتجليها في العوالم الخارجية حتى تنال المخلوقات ما يناسب حياتها من الرزق. ويركّز البحث على الاسم الأقوى فاعلية ، والأوسع حضوراً في سياقِ ارتباطِ الفعلِ بفاعلِه. فالاسم "الله" أجمع الأسماء للمعاني ، وله وجودٌ واسعٌ في النص القرآني ، وترتبطُ به مجموعةٌ من الأفعال لكثرة دلالته. فهو غني بالمعاني ؛ لأنّه جامعٌ للأسماء الحسنى في حقيقته الخارجية ووجوده غير المتناهي. ويشهدُ بهذه الجامعية كلامُه تعالى﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾(طه :٨). فالله الاسم الأعظم له الأسماء كلّها ، وهو محيط بها جميعًا. فمن أيّ كمال من كمالاته يمكن أنْ يصدرَ عنه فعلٌ ، ومن أيِّ اسم من أسمائه يسندُ ذلك الفعل إليه((والأسماء الإلهية واسمه الأعظم خاصة وإن كانت مؤثرة في الكون ووسائط وأسبابًا لنزول الفيض من الذات المتعالية في هذا العالم المشهود لكنها إنما تؤثر بحقائقها لا بالألفاظ الدالة في لغة كذا عليها ، ولا بمعانيها المفهومة من ألفاظها المتصورة في الأذهان ومعنى ذلك أن الله سبحانه هو الفاعل الموجد لكل شيء بما له من الصفة الكريمة المناسبة له التي يحويها الاسم المناسب ، لا تأثير اللفظ أو صورة مفهومة في الذهن أو حقيقة أخرى غير الذات المتعالية))[٢].

والله لما كان شهيدًا نسبَ إليه الفعل "شهد" مع ملائكته وأولي العلم في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران : ١٨] وقد صرّح النص القرآني باسم الشهيد المنطوي في اسم الله في الآية : ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء : ١٦٦] فالفعلُ اختصّ بالله ، ودليلُ الاختصاص تقدّم اسم الله على فعله "يشهد" وقد تعزّزت الشهادة الإلهية ، واتضحتْ دلالتها بالتمييز ، وهو الاسم الشريف "شهيداً" . فاللهُ يشهدُ لامتلاكه صفة "الشهيد" ، وهي تقوّي فعلَها بدلالة صيغتها الصرفية إذ هي من صيغ المبالغة الدالة على توافرها بدرجة شديدة في ذات الموصوف . والنص القرآني يصرّحُ بالفعل "شهد" ، وينسبه إلى الله متعدّيًا "أشهد" إلى الناس ؛ ليبيّنَ أنَّه تعالى قد أعطى الإنسانَ حصةً من شهادته من غير

أنْ ينقصَ شيءٌ منها كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)[الأعراف ١٧٢] فالفعل(أشهد) يكشفُ انتقالَ فعل الشهادة من الحقِّ تعالى إليهم إذ هو تعالى الفاعل الحقيقي الذي أظهر لهم الحقَّ تعالى وأطلعهم عليه ؛ ليعرفوه((تراءى لأهل الإيمان بالسكون فعرفوه وسكنوا واطمأنوا ، وتراءى لأهل الكفر بالتعظيم فطاشت عقولهم وتفرقوا عنه ... فقالوا ' شهدنا ' أي شاهدنا حقائق حقك))[٣].ويُسندُ إلى اسمه "الله" الفعلُ "يعلم" وهو فعل أصيل "الله يعلمُ" ؛ لأنّ الاسم "الله" يتضمنُ الاسمَ "عليم" ومن لطيف التعبير القرآني الإشارة إلى هذه الحقيقة في الآية المباركة﴿ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المائدة : ٩٧] فاللهُ يعلمُ من جهة كماله العلمي ، واتصافه بصفة "العليم" التي انتهتْ بها الآيةُ . فهو تعالى يعلمُ ما احتوت السماواتُ واحتوت الأرضُ. وسببُ هذا العلم الذي تعلّق بتلك المعلوماتِ الكثيرة هو اسمُه العليمُ . فلو فرضنا خلو الاسم "الله" في حقيقته الخارجية وهي الذات الإلهية من صفة "العليم" لما صحَّ إسنادُ الفعلِ"يعلم" إليه إذ لا يقدرُ في هذه الحال أنْ يعلم ذلك كلَّه وهو لا يتصفُ بهذه الصفة التي ينشأ منها فعل العلم . و((لولا أنّه سبحانه بكلِّ شيءٍ عليمٌ ، لما جاز أن يخبرَكم عنهم ، فإخباره بذلك يدلُّ على أنّه بكل شيءٍ عليمٌ))[٤] في حين أنّ المخاطبين لم تكن صفةُ العليم موجودةً فيهم ؛ لذلك جاء الفعلُ "لتعلموا" موجهًا إليهم ؛ ليحصلوا على العلمِ المتعلقِ بعلمِه تعالى الثابت ، وينالوا قسطًا منه. وبعضُ الآيات تُبيّنُ السببَ الذي على أساسه نسب الفعل"يعلم" إلى اسم الله. وهو أنَّه يتصف بصفة العليم المطلق كما في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة٧] فالله سبحانه يعلمُ تلك المخلوقات جميعًا. وهو حاضر معها ، ثم((يعلمهم بما عملوه من

المعاصي في الدنيا والأعمال ويخبرهم بها ؛ لأن الله بكل شيء عليم ، لا يخفى عليه خافية))[٥].ويظهر الفعلُ نفسه"يعلم" الذي أُسند إلى الاسم "الله". وقد أكدَّ هذا الفعلُ وجودَ الاسم(علّام الغيوب) المتضمَّن في الاسم الله إذ وجود الفعل دليل على وجود فاعله﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[التوبة : ٧٨] وقد انطبقَ التعبيرُ القرآني مع الحقيقةِ الخارجيةِ إذ إنَّ الجملةَ الاسميةَ المؤكدةَ في خاتمةِ الآيةِ تُبيّنُ اتصافَ الله بصفةِ "علَّام الغيوب" . فاللهُ من جهةِ شدة علمه ، وكماله العلمي يُظهرُ فعلَه العلمي ؛ ليشملَ السّرَّ والنجوى و((ذاته تقتضي العلمَ بجميعِ الأشياء . فوجبُ أنْ يحصلَ له العلمُ بجميع المعلومات ، فيجبُ كونه عالماً بما في الضمائر والسرائر))[٦] والاستفهام في "ألم يعلموا" عن علمِ الناسِ الذي تدعو إليه الآيةُ ؛ ليكونَ راسخًا فيهم . وليكونوا مظاهرَ ذلك العلمِ النافعِ الذي يفيضه الله تعالى عليهم . والاسمُ "الله" لاحتوائه على الاسم (القدير) يقتضي أنْ يصدرَ عنه الفعل (خَلَقَ) فالقدرة الإلهية تتجلّى في الخلقِ كقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[النور : ٤٥] يركّزُ النص القرآني هنا على الخلقِ من جهتين : خلق الدّواب ، وهو مسندٌ إلى"الله"المتقدّم على فعله . وهو متحقّقٌ في الخارج . والجهة الثانية استمرار فعلِ الخلقِ المسندِ إلى"الله" ، والمعبّر عنه بالجملة الفعلية(يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) ثم بيّنَ السببَ وراء هذين الفعلين : المتحقّق والمستمر ، وهي اتصاف الله بالقدير ، فاللهُ خلقَ فيما مضى ، ويخلقُ في الحاضر والمستقبل ؛ لأنّه قديرٌ على الخلق((لا يعجزه شيء. بل الكلُّ من مخلوقاته داخلٌ تحت قدرته سبحانه))[٧] .

ويصرّحُ النص القرآني بأثر القدرة الإلهية في الخلق والإيجاد في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٩٩] فاسم القادر هو المؤثر في عالم الخلق والإيجاد ؛ لأنّه يجمع الاسم الخالق إذ الاسم الخالق هو الذي يخلق

، وهو يرجع إلى القادر ، ويقع تحت تأثير الاسم القادر. فمن هذه النصوص القرآنية وغيرها نعلمُ أنّ الفعلَ الإلهي ينسبُ إلى الاسم(الله) ، والسببُ الأساسُ في صحةِ هذه النسبةِ اتصافُه تعالى بالأسماء الحسنى ، فيتعلّقُ الفعلُ بتلك الأسماء ، ويتحقّقُ في الخارج . فكلُّ فعلٍ يرتبطُ باسمٍ من أسمائه للمناسبة بين ذلك الاسم والفعل الذي يصدر عنه. فكل فعل من أفعال الله يناسب ذلك الكمال الذي يمتاز به الاسم الإلهي.وقد تُنسب جملة من الأفعال إلى اسم إلهي واحد غير الاسم "الله" ؛ لأنه اسم جامع لعدد من الأسماء الحسنى. وله سعة وجودية. وفيه كمال تلك الأسماء التي يحيط بها. وسعة فعليته تنتشر في العوالم كما في الاسم "الرب" الذي له أفعال كثيرة في النص القرآني كما في الآيات الآتية :﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ *الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ *وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ *وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ *وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ *وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ *وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ *وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ *وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ [الشعراء:٧٧.٨٦)إنَّ الاسم"ربّ العالمين" مؤثر في إيجاد الأفعال الأصيلة التي تعبّر عن كماله.((فربّي هذا الذي بيده نفعي وضري ، وله القدرة والسلطان ، وله الدنيا والآخرة ... وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجًا على قومه ، في أنه لا تصلح الإلوهة ، ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال))[٨] وهي "خلق ، ويهدي ، ويُطعم ويسقي ، ويشفي ، ويُميت ، ويحيي ، ويغفر ، ويهب ، و يلحق ، ويجعل ... ؛ فخلق ويخلق من جهة اتصاف الرّب باسم الخالق ، ويهدي ؛ لاشتماله على اسم الهادي . ويُطعم ويسقي ؛ لجمعه لاسم الرزاق. ويشفي ؛ لأنّه يحتوي على الاسم الشافي . ويميتُ ؛ لاتصافه باسم المميت. ويحيي ؛ لوجود صفته المحيي عنده. ويهب ؛ لأنَّ له الاسم الوهّاب ... فاسم الربّ جامع لهذه الأسماء المنطوية فيه ، وهي السبب في ظهور أفعاله ، وتجلي ربوبيته في العالمين((وقد استعمل . إبراهيم . عليه السلام من الأدب في ثنائه أن أتى بثناء

جامع أدرج فيه عناية ربّه به من بدء خلقه إلى أن يعود إلى ربه ، وأقام فيه نفسه مقام الفقر والحاجة كلها ولم يذكر لربه إلا الغنى والجود المحض ، ومثّل نفسه عبدًا داخرًا لا يقدر على شيء وتقلبه المقدرة الإلهية حالًا إلى حال من خلق ثم إطعام وسقي وشفاء عن مرض ثم إماتة ثم إحياء ثم إشخاص إلى جزاء يوم الجزاء ، وليس له إلا الطاعة المحضة والطمع في غفران الخطيئة))[٩].

ويرتبطُ الفعلُ بأكثرَ من اسمٍ إلهي في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾[الروم٥٤] . والفعلان "خلق" الماضي و "يخلق" الدال على الاستمرار ملازمان لصفتي "العليم القدير" ؛لأنَّ الفاعل لا يفعل فعلَه إلا بعد العلم به والقدرة عليه(("وهو العليم " بما فيه مصالح خلقه قادر على فعله. فهو يفعل بحسب ما يعلمه من مصالحهم))[١٠]. ومن النصوص التي تؤيّد التناسب بين الأفعال والأسماء الحسنى قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ *أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[الشورى:٤٩. ٥٠]. فالفعل"يخلق" وما يحدث في سياقه من الأفعال"يهب" و"يزوّج" و"يجعل" قد أُسندت إلى الضمير الراجع إلى الاسم"الله" وبيّن النص سبب صدور هذه الأفعال من الله ؛ لعلمه وقدرته المترشحين من الاسمين الإلهيين"عليم قدير" فهو يخلق ويهب ويجعل من يشاء عقيمًا ؛ لأنّه((هو سبحانه قادر على ذلك وهو جلَّ وعلا المبالغ في الخلق والعلم كيفاً وكماً))[١١].ويأتي الفعل"علّم" الذي يتعدّى إلى مفعولين "آدم" و"الأسماء" وفاعله الضمير العائد إلى الله في قوله ﴿وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة :٣١.٣٢]،. فهو تعالى قد علّم آدم مباشرة فصار آدم عالمًا بالأسماء كلّها ، ولكن بتعليم الله . والملائكة شهدوا بعجزهم عن معرفة الأسماء ونفوا أيَّ علم عندهم بقولهم : "لا علم لنا" مستثنينَ علمًا قد تعلّموه

من الله أيضًا و((أنك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن ، والعالم للغيوب دون جميع خلقك . وذلك أنهم نفوا عن أنفسهم بقولهم : لا علم لنا إلا ما علمتنا أن يكون لهم علم إلا ما علمهم ربهم ... العليم : الذي قد كمل في علمه والحكيم : الذي قد كمل في حكمه))[١٢].ونفهم من الآية ومن تفسيرها أنَّ الله تعالى يعلم وعلمه أصيل ، وليس من غيره ، وآدم والملائكة يعلمون. ولكن علمهم منه سبحانه. وقد نسب الفعل"علّم" إليه ؛ لأنّه تعالى هو المختص بالاسمين الأحسنينِ "العليم الحكيم" وتعليم آدم منشأه العلاقة مع هذين الاسمين((فكأن الملائكة قالت : أنت العالم بكل المعلومات فأمكنك تعليم آدم ، وأنت الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه))[١٣] وقد جاء في آيات أخرى الفعل "علّم" أصيلًا منها : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٣٩].وهذه الآية صريحة في بيان خلو الإنسان من العلم ، فالفرق كبيرٌ بين "لم تعلموا" وبين "لم تكونوا تعلمون" إذ الجملة الأولى تعني عدم حصول العلم ، ولا تنفي عنهم جميعَ العلم . والجملة الثانية تبيّن أنَّ وجودهم وكينونتهم فارغة من العلم تمامًا. ثم انتقلوا إلى مرحلة العلم الجديد الذي حصلوا عليه من الله تعالى :

الفاعل " الله "←— خَلَقَ الإنسانَ الخالي من العلم ←———"علّمكم" الفعل الأصيل

وهذا الفعل "علّم" يكون أصيلًا عندما يسند إلى الله تعالى ، وقد يكون تابعًا عندما يسند إلى غيره إذ كلّ ما سواه يعلّمُ الآخرين من علم الله الذي أعطاه إياه كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف :٦٦]. فموسى يطلب من العبد الصالح أنْ يعلّمه. فالفعل"تعلّم" نسب إلى ذلك العبد وهو يقدر على ذلك الفعل ولكن ليس بقدرته الخاصة بل بإذن الله تعالى وما سيعلم موسى "عليه السلام" من علم إنّما هو من علم الله بدليل "ممّا علّمت" وليس من علم العبد إذ ليس عنده من العلم شيء قبل أنْ يعلّمه الله ذلك العلم.ويمكن أنْ نوجز

أبرز الأفعال الأصيلة والتابعة في النص القرآني بمثال واحد لكلّ فعل مع بيان الاسمالمؤثر في إنجاز ذلك الفعل بحسب الجدول الآتي :

الفعل الأصيل	النص القرآنـــــــــــــــــي	الاسم المؤثر
علّم	﴿الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[لرحمن: ٢.١]	الرّحمن
أخذ	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الأعراف:من الآية١٧٢]	ربّك
أمر	﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[الأعراف:من الآية٢٩]	ربّي
يبشر	﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾[[آل عمران: من الآية٣٩]	الله
نبطش	﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾[الدخان: ١٦]	المنتقم
يبيّن	﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاس﴾[البقرة : من الآية١٨٧]	الله
حفظ	﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾[النساء:٣٤]	الله
أحسنَ	﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[القصص: من الآية٧٧]	الله
تاب	﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة: من الآية ١١٨]	التوّاب الرحيم
يحكم	﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[يوسف: من الآية٨٠]	خير الحاكمين
أحيا	﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فصلت:٣٩]	المحيي
يرى	﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:من الآية١٠٥]	الله
رضي	﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[المائدة:من الآية ١١٩]	الله
صدق	﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[الأحزاب: من الآية٢٢]	الله
أضلَّ	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[الجاثية:من الآية٢٣]	الله
أطعم	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾[يس: من الآية٤٧]	الله

عفا	﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[آل عمران: من الآية١٥٥]	الله الغفور الحليم
يغفر	﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر: من الآية٥٣]	الله الغفور الرحيم

الفعل الأصيل	النص القرآنـــــــــــــــــــــــــــــــي	الاسم المؤثر
أغنى	﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[التوبة:من الآية٧٤]	الله
فعل	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[الفجر: ٦]	ربُّك
يقضي	﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[غافر: ٢٠]	السميع البصير
يلعن	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩]	الله
مكر	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران : ٥٤]	الله خير الماكرين
يتوفّى	﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر: من الآية٤٢]	الله

ويقدّم النص القرآني رؤية معرفية تتفاعل مع الرؤية الفعلية الأصيلة التي أثبتها النص نفسه ، وأكّدها كثيرً ، وأرجع أسسها الوجودية إلى الأسماء الحسنى بما لها من تأثير في النظام الكوني ، فكانت تلك الأسماء هي المحركات والفواعل الأساسية والجوهرية في إنشاء الأفعال الإلهية الأصيلة. وهذه الرؤية المعرفية التي هي من آثار الأسماء الحسنى أيضًا تتمثّل في محور النفي المقابل لمحور الإثبات الذي يعزّز قيمةَ الأفعال الأصيلة في الكون ، وهذا النفي يطال جملة من الأفعال إذ ينفي النص القرآني نسبة هذه الأفعال إلى الله تعالى ؛ لعدم وجود المناسبة بينها

وبين كمال الأسماء الإلهية وجمالها. لأنَّ هذه الأفعال المنفية تتصف بالنقص والضعف عندما تتقيّد ببعض القيود ، فالفعل "علّم" كان من الأفعال الأصيلة كما مرّ في البحث ، ولكنّ القرآن ينفيه في قوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآَنٌ مُبِينٌ﴾[يس:٦٩]. ونفي هذا الفعل يعنى نفي أصالته أيْ أنّه غير متحقّق وليس فعلًا أصيلًا ؛ لتقييده بقيد يعمل على إزالة مناسبة الفعل للاسم الإلهي إذ في الفعل "علّم" من كمال الاسم "العليم" إذ هو مصدر كلّ علم تحصل عليه المخلوقات ، ولكنّه لما تقيّد بقيد "الشعر" انقطعت المناسبة والرابطة بين "علّم الشعر" وبين الاسم "العليم" إذ لا يقتضي هذا الاسم في مقام الرسالة أنّ يعلّم الشعر ، وليس من شأنه في مقام اصطفاء الرسول تعليمُه الشعرَ.

بل من كماله أنْ يوحي إليه الذكر والقرآن العظيم إذ تعليم القرآن وإنزال الوحي هو الفعل الإلهي الذي يوجبه المقام السامي لإرسال الرسول الأعظم محمد"صلّى الله عليه وآله". لذلك جاء نفي الفعل الأصيل عندما تقيّد بالمفعول به "الشعر" حتى يبقى الفعل الأصيل متصفًا بالكمال ومتجنبًا النقص الذي يلحقه إنْ أثبتَ نسبتَه في حال تقييده "بالشعر" والنفي هنا يعزّز نسبة الفعل "علّم" في السياقات الأخرى التي يكون قيده فيها دالًا على كمال الفعل وجماله. ومن الموارد التي تجلّى فيها نفي الفعل الأصيل بسبب القيود التي طرأتْ على الأفعال المذكورة مع النقص في الجدول الآتي :

الفعل المنفي	النص القرآني	النقص
يتّخذ	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[الاسراء: من الآية١١١]	محدودية الولد
يأمر	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[الأعراف : من الآية٢٨]	الفحشاء
يحبّ	﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[الحديد :من الآية٢٣]	الختل والفخر
يرضى	﴿ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:من	الفسق

	الآية٩٦]	
يريد	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: من الآية١٨٥]	العسر
يكلّم . ينظر . يزكي	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٧٧]	شراء الثمن القليل بعهد الله
يُصلح	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[يونس: من الآية ٨١]	الفساد
يغفر	﴿ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[محمد:من الآية٣٤]	الكفر

إنَّ الأفعال المنفية قد وقع عليها النفي ليس بسبب عدم قدرة الله على إيجادها ، فهو تعالى "فعّال لما يريد" ، ولا يعجز عن فعله. وإنّما يعود السبب إلى ما تعلّق به فعله. فالفعل " يتخذ" في الجدول المتقدم قد كان مثبتًا ومتحقّقًا في قوله تعالى :﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[النساء: من الآية١٢٥] لخلوه من القيود التي كانت مانعة من تحقّق الفعل. وتقييده بالمفعول به "إبراهيم" يشير إلى أنَّ هذا القيد لا يمنع الفعل بل يسمح للفعل أنْ يظهر بمعنى أنْ النبي إبراهيم "عليه السلام" استحقَّ مقام الخلّة ، فجاز التعبير عن تلك الحقيقة الواقعية بالفعل الماضي"اتّخذ"((واتخذ الله إبراهيم خليلاً لطاعته ربَّه ، وإخلاصه العبادة له ، والمسارعة إلى رضاه ومحبته))[١٤] . ولم يستحق " الولد" أنْ يتعلّق به الفعل الإلهي "يتخذ" إذ يؤدي إلى نسبة النقص في الذات الإلهية ، فكان منفيًّا. وكذا الفعل "يأمر" قد يأتي منفيًا كما في الجدول المتقدّم ؛ لأنَّ الفعل الإلهي والاسم المناسب له لا يليق بهما "الفحشاء" . ولا يتعلّقان بها ؛ لشدّة نقص الفحشاء ، ولبعدها عن ساحة الكمال اللائق بالفاعل الحقيقي جلَّ جلالُه ؛ ولتنزّه فعله المقدّس عن حضيض تلك الفحشاء التي يدور حولها الفعل الشيطاني﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[النور: من الآية٢١] فهذا الفعل لما اقترن بالفحشاء كان من الأفعال المحورية للشيطان الطريد عن الرحمة ، والبعيد عن مدارج الكمال.وقد جاء الفعل "يأمر" في القرآن إذ كان متعلّقه الكمال كقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠]. فقد تقيّد الفعل بمقيّدات دالّة على أمور كلها من كمال الوجود " العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى" يعرجُ بها فاعلُها أيْ "العادل والمحسن والمؤتي ذا القربى" في مراتب الكمال ، ويصعد إلى الله تعالى ، ويقترب من رضوانه.

وهكذا الأمر لو حلّلنا الأفعال المنفية المذكور في الجدول السابق ونظرنا إلى حالاتها في الإثبات لعرفنا أنَّ السبب الكامن وراء الإثبات هو مناسبة دلالة الفعل للكمال وقبول متعلّقه لذلك الكمال ، فجاز التعبير عنه بالجملة الفعلية المثبتة . والسبب المضمر وراء النفي هو عدم لياقة المتعلّق بالفعل للكمال الإلهي ، فجاز التعبير عنه بالجملة الفعلية المنفية وإنْ كان الفعل واحدًا في التعبيرين.وقد ينفي القرآن الفعلَ في بعض آياته عن الله تعالى للإشارة إلى نفي أصالته من الأساس ؛ لأنَّ هذا الفعل المنفي لا يعتمد على اسم إلهي يُوجده في الخارج إذ الذات الإلهية بريئة من ذلك الاسم ، ولا تتصفُ به لشدة كمالها ؛ ولأنّ نسبته إلى الله تعالى تستلزم نقصًا في الكمال الإلهي ، فإذا خلت الساحة الإلهية من تلك الأوصاف التي لا تكون من الأسماء الحسنى انعدم الفعل ، وصحَّ نفيه عن الله تعالى وأسمائه ، وقد وردتْ بعض الأفعال منفية عند إسنادها لأحد الأسماء الحسنى ومثبتة عندما أسندتْ إلى غير الأسماء الحسنى. ولعل السبب في نفيها مع الفاعل الإلهي هو عدم مناسبة الأفعال نفسها لله تعالى إذ لم ترد مثبتة مع أسمائه . فلو جاءت مرة منفية وأخرى مثبتة لكان السبب يرجع إلى المتعلّق بها كما اتضح في الجدول السابق. ولما لم تأتِ إلا منفية فإنَّ هذا النفي يجعل السبب هو الأفعال نفسها لا ما يقيّدها. فهي أفعال لا تناسب الشأن الإلهي ، ولا تليق بجمال أسمائه وكمالها . ومن تلك الأفعال ما استقر في الجدول الآتي :

الفعل المنفي	النص القرآنـــــــــــــــــــــي	النقص
يخاف	﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[الشمس: ١٥]	الخوف
يُشرك	﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[الكهف :من الآية ٢٦]	الشرك
يضلّ . ينسى	﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي ﴾[طه: من الآية ٥٢]	الضلال
نسأل	﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[طه: من الآية ١٣٢]	السؤال والحاجة
يُضيع	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[التوبة: من الآية ١٢٠]	الإضاعة
يظلم	﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: من الآية ٤٩]	الظلم
يكلّف	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: من الآية٢٨٦]	التكليف
يموت	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]	الموت

المبحث الثاني : الفعل التابع :هو الفعل الذي يسند إلى فاعلينَ من المخلوقات وهي لا تنجز أفعالها بنفسها بل تحتاج إلى الفاعل الحقيقي وهو الله تعالى ؛ ليعلّمها ، وليقوّيها على تحقيق أفعالها. كالفعل " يَكْتُبَ" في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾[البقرة:من الآية٢٨٢]. إذ الإنسان الكاتب يحقّق فعل الكتابة بتعليم الله وبإذنه والفعل "شهد" الذي كان أصيلًا فيما تقدّم من البحث يُسندُ . هنا . إلى المخلوقات : كالملائكةِ وأصحابِ العلم. فهم يشهدون كما في قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾[آل عمران : من الآية ١٨] وقد نفهمُ من هذه النسبة وهذا الحكم أنّ الفعل واحد ، وقد صدر أولاً من فاعله الأصيل الشهيد. وقد سرى فعلُه . تعالى . في تلك الموجودات على نحو التّعليم . فتكونُ شهادتُه تعالى هي نفسها قد تجلّتْ في شهادة خلقه كملائكته وأولي العلم من خلقه . فهو سبحانه((دلّنا بنفسه من نفسه على نفسه بأسمائه ... فجعل لنا في كلامِه وأسمائه شاهداً ودليلاً ، وإنما فعل ذلك ؛ لأنّ الله تعالى وحّد نفسَه ولم

يكن معه غيره فكان الشاهد عليه توحيدُه ، ولا يستحقُ أن يشهد عليه من حيث الحقيقة سواه ، إذ هو الشاهد فلا شاهدَ معه ثم دعا الخلقَ إلى شهادتِه ، فمن وافقت شهادتُه فقد أصاب حظَّه من حقيقة التوحيد ، ومن حرم ضلَّ))[١٥]. فليس ثمة فرقٌ دلالي بين شهادةِ الله تعالى ، وشهادة خلقه إذ المعنى واحدٌ اتّصفَ به تعالى على نحو الكمال الذاتي . فشهادتُه من صفاته الذاتية التي لا تزولُ عنه وهي غير محدودة﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة: ١١٧] . فهو سبحانه شهيد وشهادته مطلقة ، ولا يحدّها شيء إذ هي ساريكلِّ شيء وقد جرتْ في بعض خلقه منه . سبحانه . على وجه التّعليم ، والإطلاع ، والتّجلّي ، ولكنها في خلقه تكون محدودة بقدر قابليتهم على استيعابها. ويعتمد المخلوق في تحقّقها على الفاعل الأصيل لا على نفسه ، ويمكن أنْ يتصف المخلوق بصفة الشاهد أو الشهيد. ولكنّ هذه الصفة تكون محدودة. ويُفهم من الآية المتقدمة أنّ شهادة النبي عيسى بن مريم"عليهما السلام" محدودة بمدة وجوده في بني إسرائيل بقرينة "ما دمتُ فيهم". والمخلوق الشاهد أو الشهيد كالملائكة وأولي العلم وأصحاب القلوب﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧] يستطيعون الشهادة بإذنه تعالى أولًا. ويشهدون في مرتبة معينة ، وليس شهادتهم مطلقة ثانيًا. ولكلّ واحد من خلقه درجة مناسبة من الشهادة لا يتجاوزها ثالثًا.﴿وَلَايَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف:٨٦] فالاستثناء في الآية يخبر بأنَّ الناس قسمان منهم من شهد بالحقِّ. ومنهم من لا يشهد بالحقِّ. ولا يستطيع أن يصل إلى مرتبة الشفاعة الشهادة التي نالوها بسبب شهادتهم بالحق. وقد تصل درجة الشهادة العلمية إلى مقدار قليل كما في قوله تعالى﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾[الأنعام:من الآية١٥٠].فالفعل يشهد قد نسب إلى الشهداء من الناس وقد سمّاهم القرآن الكريم "شهداء" على الرغم من محدودية المشهود عليه .ولو تأمّلنا في الفعل "علم" الذي

تبيّنتْ أصالته عند الله في المبحث الأول لرأينا النص القرآني ينفي أيَّ علم عند المخلوق حتى الملائكة﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة: ٣٢]. فالملائكة العظماء ينفون امتلاكهم أيَّ نحو من العلم "لا علمَ لنا" فهم لا يعلمون ذلك العلم الأصيل الصادر من ذواتهم. ويعلمون في الوقت نفسه علمًا واسعًا ولكنّه علمٌ متفرّعٌ من علمه تعالى"علّمتنا" إذ علمُ الله يتنزّل على ملائكته الذين ليس فيهم أيُّ مقدار من العلم. فصاروا علماء بتعليم الله تعالى. فيكون علمهم تابعًا للعلم الأصيل عند الله . وينفي القرآن الكريم العلم أيضًا عن الناس. ويثبته لله فقط﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: من الآية٦٦]. فالإنسان لا يملك من ذاته علمًا أصيلًا ، والله تعالى له الأصالة العلمية. وقد يصل بالإنسان الحال عند أرذل العمر إلى أنْ لا يعلم أيَّ علم﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[النحل: ٧٠] . وفي المقابل تبقى الذات الإلهية متصفة بالعلم على الدوام. وهذا الاتصاف الذاتي الدائم بالأسماء الحسنى هو منشأ أصالة الفعل لله سبحانه. ويكون الإنسان ذا علم عندما يعلّمه الله تعالى من علمه ما يشاء﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٦٨].فالآية الكريمة تُبيّن أنَّ النبيَّ يعقوب"عليه السلام" عنده علمٌ "ذو علم" ، وعلمه أخذه من الله الذي علّمه ، ولم يكن له علم مستقلٌّ من ذاته . بل"علّمناه" وأكثر الناس لا يعلمون من أنفسهم شيئًا ، وكثير من الآيات تؤكّد تعليمَ الله الإنسانَ منها﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:٤. ٥]. إنَّ المخلوقات عندما تنال قسطًا من العلم الإلهي بتعليم الله تعالى تتفاوت مراتبهم في درجات ذلك العلم ، ويمكن أنْ نرتّب هذه المراتب بصورة عامة على النحو الآتي :

١. العلم العام الذي يكون فيه الفعل"علم" منسوبًا إلى المخلوقات كلها كقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[النور:٤١]. فإنَّ كلَّ موجودٍ سماوي أو

أرضي عنده علم "قد علم" صلاته وتسبيحه لله تعالى. و((الآية تنسب التسبيح والعلم به إلى مَن في السماوات والأرض فيعمُّ المؤمنَ والكافرَ ، ويظهر بذلك أن هناك نورين : نور عام يعم الأشياء والمؤمن والكافر فيه سواء))[١٦] وهو علم متفرع من العلم الإلهي. قد أودعه الله تعالى فيها. والآية المباركة لم تصف تلك المخلوقات بصفة "عالم أو عليم" بل اكتفت بنسبة الفعل "علم" إليهم فقط في حين أنَّها وصفت الله بصفة "عليم" . وهذا الاستعمال للفعل "علم" يعني حدوث العلم. واستعمال صيغة المبالغة "عليم" يدلُّ على كثرة العلم عند الله تعالى. واستعمال الجملة الاسمية "الله عليم" يدلُّ على ثبوته في الذات الإلهية المقدّسة. فهي ذات عليمةٌ لا تحتاج إلى علم غيرها إذ كلُّ ما سواها لا يملك من نفسه شيئًا من العلم.

٢. العلم الخاص ببعض المخلوقات ، ويسند الفعل "علم" إلى بعض الخلق ، ويكون الفعل مقيَّدًا بقيد يفيد القلّة كما في قوله تعالى﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[الجاثية:٩]. فهذا الإنسان يستطيع أنْ يعلم شيئًا من آيات الله. وقد ينفي النص القرآني العلم عن أكثر الناس. ويثبت لهم علمًا بظاهر من الدنيا كقوله تعالى : ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ *يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ[الروم:٦.٧]. فهم "لا يعلمون" علمًا أصيلًا مستقلًا من أنفسهم. بل يعلمون علمًا تابعًا مأخوذًا من مصدره الأصيل ، ويتعلّق بظاهرٍ ، وليس بباطنٍ ، وليس بظاهرِ الدنيا كلِّه بل بظاهرِ بعضِ الدنيا بدليل القرينة اللفظية "من الحياة الدنيا". وقد يتقيد هذا العلم المحدود بقيد يفيد كثرةَ العلم وسعته كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ *لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[التكاثر:٥. ٦].وهنا يظهر الفعل "تعلمون" مسندًا إلى الناس ومقيّدًا بقيد "علم اليقين" ليدلَّ على أنَّ الإنسان قد يتعلّم علمًا خاصًّا يقدر به على أن يرى النارَ الجحيم وهو في هذه الدنيا. والنص القرآني يطلق على ذلك العلم "علم اليقين". وهو علم بلا ريبَ واسع ؛ لأنّه يتعلّق بالغيب ويتجاوز هذه النشأة المادية. ومثل ذلك العلم الخاص المحدود يظهر عند الملائكة الذين يكتبون أعمال الإنسان﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

لَحَافِظِينَ *كِرَامًا كَاتِبِينَ *يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار:١٠-١٢]. فقد أسند الفعل "يعلمون" إليهم وقيّده بـ"ما تفعلون" فهم يعلمون أفعالَ الناس ، ويثبتونها عندهم. ولو ربطنا هذا الفعل العلمي للملائكة الكاتبين باعتراف الملائكة في قولهم : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ لظهر أنَّ علمهم بأعمال الناس هو من العلم الإلهي الذي نالوه من الله تعالى ، وممّا تقدّم من النصوص القرآنية تثبتُ أصالةُ الفعل العلمي الإلهي ، لاستناده إلى ذات أصيلة فيها صفات علمية ثابتة. واتضح نفي نسبة هذا الفعل العلمي الأصيل للخلق ؛ لأنّهم فاقدون لتلك الصفة العلمية في أصل طبيعتهم وفطرتهم. وهم منغمرون في الفقر والحاجة والجهل لولا أنْ الله يمدّهم من علمه ، ورحمته ، وهداه . وتتأكّد تبعيّة الفعل العلمي لدى المخلوقات ؛ لأنّه يتكئ في وجوده على الاسم الإلهي "العليم" الذي يزوّد المخلوقات من علمه ، فهو تعالى ينزّل من لدنه علمًا ووحيًا وحكمةً ونورًا ، فيأخذ كلُّ مخلوق بقدر وعائه العلمي ، وسعة استيعابه ، ومقدار اجتهاده وفي هذا السياق يأتي سؤال وهو : هل نسب النص القرآني الفعل "خلق" إلى غير الله تعالى ، وهل كان الفعل أصيلًا في تلك النسبة كأصالته لله سبحانه التي ذكرتْ في المبحث الأول ؟ والجواب أنَّ الآيات التي ورد فيها الفعل "خلق" يكون على نوعين :

١. الفعل المنفي وهو يؤكّد عدم أصالة الفعل عند المخلوق﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل١٧] إذ إنَّ الله يخلق أصالةً وغيره لا يخلق أصالةً ، والله جلَّ شأنه يثبتُ أصالةَ الفعل "خلق" لنفسه إذ يقول : ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ *أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ *أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ *نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ *عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ *وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ *أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ *أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[الواقعة : ٥٧ . ٦٤]. ويثبتُ الفعل " زرع" لنفسه بالأصالة أيضًا. وينفي الفعلين "خلق" و"زرع" الأصيلين بوساطة أسلوب الاستفهام المجازي عن الإنسان إذ الإنسان لا يقدر على الخلق والزرع مستقلّاً عن ربّه سبحانه((ولا منافاة بين نفي

الزرع عنهم ونسبته إليه تعالى وبين توسط عوامل وأسباب طبيعية في نبات الزرع ونموه. فإنَّ الكلام عائد في تأثير هذه الأسباب وصنعها ، وليس نحو تأثيرها باقتضاء من ذاتها منقطعة عنه تعالى بل بجعله ووضعه وموهبته ... وينتهي الأمر إلى الله سبحانه))[١٧].

٢. الفعل المثبت المنسوب إلى النبيّ عيسى" عليه السلام"﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران٤٩] ومعه جملة من الأفعال في نسق فعلي تتابعي :

النسق الفعلي المتتابع = [أخلق + أنفخ + أُبرئ + أحيي + أنبئكم]

وهذه الأفعال كلّها . وإنْ نُسبتْ إلى المتكلّم عيسى "عليه السلام" . تابعةٌ للاسم الإلهي "ربّكم" فالأفعال هي آيات لصاحبها الأصيل وهو الرّبّ تعالى شأنه ، ومن خصائص الآيات أنّها دالة على صاحب الآيات إذ الآية هي علامة دالة. فكل فعل من هذه الأفعال يصدر من عيسى يكون دليلًا على الخالق والشافي والمحيي وهو الله تعالى ، ونسبتها إلى المخلوق نسبة تابعة إذ المخلوق يفعلها بإذن الله التكويني ، وبحوله ، وبقوته سبحانه. وهذه أبرز الأفعال التابعة في النص القرآني ، ولكل فعل مثال واحد مع بيان الاسم المؤثر في تحقّق الفعل التابع ؛ لأنَّ الفاعل الذي يقوم بالفعل التابع يستند ، ويعتمد على الفاعل الأصيل في إيجاد فعله مهما بلغ من القوة والاقتدار إذ المخلوقات جميعها فقيرة إلى خالقها ، وكذلك أفعالها لا توجد في الخارج إلا بعونه تعالى ، وبقدرته ، وبإذنه. والأفعال التابعة تظهر واضحة مع بيان الاسم المؤثر في فاعليها وفيها أيضًا في الجدولين الآتيين :

الفعل التابع	النص القرآنـــــــــــــــــــي	الاسم المؤثر
يعلّم	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾[الجمعة:من الآية٢]	الله مرجع متقدم للضمير "هو" .
يأخذ	﴿ما كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[يوسف: من الآية٧٦]	الله
يأمر	﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[مريم:٥٥]	ربّه
بشَّر	﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ *قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر:٥٥. ٥٦]	ربّه
بطش	﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[الشعراء:١٣٠]	الجبّار
يبيّن	﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾[المائدة : من الآية١٩]	الله
نحفظ	﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *قَالَ هَلْ آَمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* ...وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾[يوسف: من الآيات ٦٣.٦٥]	الحافظ
أحسنْ	﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[القصص: من الآية٧٧]	الله
يتوبوا	﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة: من ١١٨]	التوّاب الرحيم
يحكم	﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّه... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]	الله
أحيي	﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية٤٩]	الله
يرى	﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:من الآية١٠٥]	الله
رضي	﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[المائدة:من الآية ١١٩]	الله
صدق	﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[الأحزاب: من الآية٢٢]	الله

أضلّ	﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[الفرقان: ٢٩]	الشيطان/المضلّ
الفعل التابع	النص القرآنـــــــــــــــــــي	الاسم المؤثر
نُطعم	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾[يس: من الآية٤٧]	الله
تعفوا	﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾[النساء: ١٤٩]	الله العفو القدير
تغفروا	﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[التغابن:من الآية: ١٤]	الله غفور رحيم
أغنى	﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[التوبة:من الآية٧٤]	الله
يقضون	﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[غافر: ٢٠]	الله السميع البصير
يلعنهم	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩]	الله
مكروا	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران : ٥٤]	الله خير الماكرين

ولو عدنا إلى النص القرآني لرأينا أكثر الأفعال الأصيلة المنفية التي ذكرت في المبحث الأول جاءت مسندةً إلى المخلوقات إثباتًا ونفيًا. سواء كانت دالة على الكمال فيها أو النقص الذي تقتضيه طبيعة المخلوق. فقد يتصف بعض المخلوقات بالكمال ، وقد يتصف بالنقص بحسب قربه وبعده من الكمال الإلهي. فكلّما دنا من الله تعالى يفيض الله عليه من الحياة والعلم والرحمة والقوة والسمع والبصر والجمال والعزّة والكرامة والهدى والنور والطهارة وغيرها. وكلّما بعد من الله تعالى راح يفقد كمالًا بعد كمال ، فتضعف حياته المعنوية ، فيكون ميْتًا ، ويفقد العلم فيكون جاهلًا ، ولا يقبل الرحمة فيكون قاسيًا ، وتزول منه القوة فيكون ضعيفًا .. الخ. و ذكرت الأفعال في الجدول الآتي :

الفعل التابع	النص القرآنـــــــــــــي	الكمال	النقص
يخاف	﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: من ٤٥]	خوف الوعيد	.....
أخاف	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ...إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾[غافر:من الآية٢٦]	.....	خوف تبديل الدين الباطل
يخاف	﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾[المدثر: ٥٣]	.....	عدم خوف الآخرة
يُشرك	﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف:١٩٠]	.....	الشرك بالله
أُشرك	﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾[الجن: من الآية ٢٠]	عدم الشرك	.....
يضلُّ	﴿هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: من١١٧]	.....	الضلال
يضلُّ	﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾[طه: ١٢٣]	عدم الضلال	.....
سأل	﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[إبراهيم: من الآية٣٤]	.....	المسألة
نسأل	﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[يوسف: من الآية ١٠٤]	عدم المسألة	.....
أضاع	﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾[مريم : من الآية٥٩]	.....	إضاعة الصلاة
يظلم	﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[الروم: من الآية ٩]	.....	ظلم النفس
يموت	﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ ﴾[مريم: من الآية ١٥]	الموت	.....
يموت	﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾[طه: من ٧٤]	.....	عدم الموت في النار

إنَّ الفعل "خاف" يعدُّ كمالًا للإنسان عندما يتعلّق بالعذاب في الآخرة ؛ لأنَّ فيه نجاته من النار وكماله في دخوله الجنة. ونفي هذا الخوف من عذاب الآخرة يعدُّ نقصًا ؛ لأنّه يجرُّ إلى الضلال والهاوية والخسران الأبدي. ويعدُّ خوف فرعون على دين قومه من النبي موسى "عليه السلام" نقصًا ؛ لأنَّ في هذا الدين الباطل خسرانه و خسران قومه. ولو أحبَّ هو وقومه دينَ موسى "عليه السلام" لفازوا فوزًا عظيمًا.والفعل "أشرك" يعدُّ نقصًا كبيرًا عندما يتداوله الإنسان في حياته ؛ لأنَّ المشرك تمتلئ نفسه بالظلم الكبير لخالقه ، ويزول إيمانه الذي هو الكمال الحقيقي للنفس الإنسانية. وعندما ينفي النص القرآني الفعل "أشرك" فإنه يثبتُ كمال الإنسان المعنوي ورشده العقلي في اجتناب الشرك بالله تعالى ولو نظرنا إلى الفعل "يموت" فهو من الأفعال التي لا تنال الذات الإلهية المتصفة بالحياة الدائمة ؛ لذلك ينفي القرآن هذا الفعل عند نسبته لله ، ويثبته للإنسان. وهذا الإثبات للموت يعدُّ كمالًا للنفس الإنسانية إذ هي تنتقل من الدنيا المادية إلى عالم معنوي أرحب وأجمل إذ الموت انتقال من عالم إلى آخر أشدَّ كمالًا. وليس الموت عدمًا حتى يكون حينئذٍ نقصًا. ونفي الفعل "يموت" في العذاب يعدُّ نقصًا ؛ لأنَّ الحياة في النار من أبرز مصاديق النقص وأوضح موارد الضعف. ولو كان فيها موت وانتقال إلى عالم آخر لكان ذلك كمالًا للنفس إذ به تتخلّص من النار وتنجو .

وقد تقدّم في البحث أن الفعل التابع الذي يسند إلى الفاعلين الذين هم المخلوقات ، وهم لا ينجزون أفعالهم بأنفسهم. بل يحتاجون إلى الله تعالى حتى تحقّق أفعالهم ، ولعل النص القرآني يستعمل الفعل التابع كثيرًا ، ويشير إلى ارتباطه بالله تعالى وإن كان منسوبًا إلى المخلوقات كالفعل "علّم" مسند للخلق في بعض الآيات كقوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف: ٦٦].إذ يظهر الفعل "تعلّم" المسند إلى الضمير المستتر للمخاطَب وهو العبد الصالح الذي يقدر على تعليم النبي موسى "عليه السلام". ولكنّ ما يملكه من علمٍ لم يكن أصيلًا من ذاته. بل أفاضه الله تعالى عليه بدليل القرينة "عُلّمتَ" .

فكان العلم الأصيل عند مَنْ علّم ذلك العبد الصالح ، فتكون حركة الفعل التعليمي كلّه قد مرّت بمرحلتين :

[الله "العليم" ← علّم العبدَ(فعل أصيل) + العبد العالم ← يعلّمُ موسى(فعل تابع)].

وجاء الفعل "يعلّم" في قوله تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ﴾[الجمعة:من الآية١].وهو مسند إلى الضمير المستتر "هو" العائد إلى الرسول محمد "صلّى الله عليه وآله" وهذا الفعل تابعٌ ؛ لأنّه يرتكز على فعلية الله تعالى ، ومنّه ، وتعليمه لرسوله ، وبعثه إلى قومه ، وتزويده بالكتاب والحكمة ، وتأييده له ، ولولا ذلك التعليم الإلهي للرسول لما استطاع بذاته أنْ يعلم قومَه الكتابَ والحكمةَ. فهذا الفعل الظاهر ينطوي خلفه فعل أصيل . ويستلزم فعلية مضمرة مستوحاة من الفعلية الظاهرة المتمثّلة بتعليم الرسول قومَه الكتابَ والحكمةَ التي يمكن أنْ يستحضرها التحليل النصّي الآتي :

الله علّم محمدًا "الكتابَ والحكمةَ"[الفعل الأصيل] ⟸ الرسول يعلّمُ "الكتابَ والحكمةَ[الفعل التابع) إنَّ النص القرآني عندما ينفي الفعل المسند إلى الخلق في بعض الآيات إنّما يقصد الفعل الأصيل إذ المخلوق يستحيل أنْ يحقّقَ الفعل الأصيل بذاته مستقلًّا ؛ لفقره وضعفه ولحاجته الدائمة لربّه في أنْ يفيض عليه الحياة والقوة وكل ما يحتاجه في إيجاد الفعل ، ومن الآيات المؤكّدة لهذه الدلالة القرآنية ما يأتي :

۞ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال :١٧]

۞ ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال: ٦٣].

۞ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[القصص: ٥٦].

فالأفعال المنفية "تقتلوا" و"رميت" و"ألّفتَ" و"تهدي" لا تتحقّقُ في الخارج بإرادة الفاعل وقوته إلا بإذن الله تعالى إذ الإنسان المحتاج لا يملك من نفسه حياة ، ولا قوة ، ولا هداية يستطيع بها إنجاز فعله. بل لا بدَّ من أنْ يزوده الحيّ والقوي بذلك حتى يقدر على إنشاء فعله.((فلم تقتلوهم" يعني : بقوتكم وعدتكم "ولكن الله قتلهم " "بنصره" إياكم ومعونته لكم ... "وما رميت إذ رميت" يريد به ذلك الرمي بالحصباء التي أصابت عيونهم ؛ إذ ليس هذا في قدرة البشر أن ترمي الحصباء إلى وجوه جيش بحيث لا تبقى عين إلا ويصيبها منها ؛ "ولكن الله رمى" بقوته وقدرته))[١٨].

المبحث الثالث : العلاقة الدلالية بين الفعل الأصيل والفعل التابع :عندما ننظر إلى معاني الأفعال الأصيلة والأفعال التابعة ونفهم العلاقات فيما بينها نجد أمامنا علاقتين بارزتين هما :الاشتراك المعنوي ، والتغاير المعنوي .

١. الاشتراك المعنوي:إنَّ الاشتراك المعنوي هو معنى واحد يشترك فيه الفعلان الأصيل والتابع ، قد اتضح فيما مرَّ من البحث أنَّ الفعل الأصيل المنسوب إلى الله تعالى له معنى حقيقي ، وقد يستعمل الفعل نفسه مع المخلوقات ، فينقلب من الأصالة إلى التبعية مع احتفاظه بمعناه الحقيقي ، مثل الفعل "علّم" له معنى واحد سواء كان فاعله الله أم الإنسان ، ولكن الفرق في وظيفة الفاعل وقابليته على إيجاد فعله ، فالله تعالى يفعل فعله من غير حاجة إلى غيره ، والمخلوقات تؤدي أفعالها بقدرته وإذنه التكويني وهناك فرق في الفعل الإلهي الذي يكون أوسع دائرة وأقوى وجودًا في حين أنَّ الفعل البشري محدود ، فالله عندما يعلّم فهو يعلّم كلَّ مخلوق ، والنبي مثلًا قد يعلّم شخصًا أو أمةً ، ولا يستطيع أنْ يعلّم جميع المخلوقات ... وهكذا الأمر في الأفعال الأصيلة والتابعة. ولتقريب الاشتراك المعنوي نذكر بعض الأمثلة التي يكون فيها معنى الفعل واحدًا وإنْ اختلف فاعله المباشر وتعدّدت استعمالاته. فهناك ((معنى نواة" يكون مشتركًا بين كلّ استعمالات الفعل نفسه ، وكل معنى مخصوص يتخذه ذلك الفعل إنّما يحدّده السياق))[١٩] وقد رصد الباحث أبرز الأفعال الدالة على معنى واحد في الجدول الآتي:

الفعل الأصيل	الفعل التابع	النص القرآني	المعنى المشترك
.....	حشر	﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾[النازعات:٢٣]	الجمع
حشر	.....	﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[الكهف: من ٤٧]	
يحكم	.....	﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الحج: من الآية ٦٩]	القضاء وإظهار الحقّ
.....	يحكم	﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ﴾[المائدة:من الآية٩٥]	
يرزق	.....	﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[البقرة: من الآية ٢١٢]	الإعطاء
.....	ارزقوهم	﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾[النساء: من الآية٨]	
أعذّب	.....	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[آل عمرانك من الآية٥٦]	العقوبة
.....	أعذّب	﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[النمل: ٢١]	
كلّم	.....	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء: من الآية ١٦٤]	إظهار المُرَاد
.....	تكلّم	﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[المائدة: من الآية١١٠]	
أعطى	.....	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[طه: ٥٠]	الإيتاء
.....	أعطى	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[الليل: ٥]	

وعد	.....	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: من الآية٢٩]	
وعد	وعدتكم	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[إبراهيم: من الآية ٢٢]	تعهّد على أمر

إنَّ هذه الأفعال وغيرها تنسب إلى الله تعالى وإلى خلقه وهي تحمل معنًى واحدًا مشتركًا في الفعل الإلهي وفي الفعل الخلقي. والفرق بينهما في الأصالة والتبعية باقٍ على أصله الذي ثبت في البحث سابقًا.

٢ . التغاير المعنوي :قد يحمل بعض الأفعال الأصيلة معنى يختلف عن معنى الأفعال التابعة ، فتكون بينها مغايرة دلالية وهذا التغاير الدلالي قسمان : تغاير بالحقيقة. وتغاير بالحقيقة والمجاز.

آ. تغاير بالحقيقة: قد يفترق المعنى المشترك بين الفعلين الأصيل والتابع وإن كان بلفظ واحد ، فيأخذ كلٌّ واحد منهما معنى مغايرًا لمعنى الآخر. وكلٌّ واحد من المعنيين حقيقيٌّ كما في الآيات الآتية :

۞ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦] نجد النص القرآني يستعمل فعلًا واحدًا "يصلون" يشترك في نسبته الله تعالى والملائكة بسبب العطف : الملائكة على الله تعالى ، ولكن المعنى مختلف لاختلاف الفاعل. فإنَّ صلاة الله غير صلاة الملائكة. فالله تعالى صلاته رحمته وملائكته صلاتهم الاستغفار ، وصلاة المؤمنين الدعاء[٢٠] لذلك يظهر الفعل "يصلي" في ثلاثة معانٍ تناسب الفاعلين وهي :

١. يصلي الله على النبي "ص" ⟵ يرحمه .
٢. يصلي الملائكة على النبي "ص" ⟵ يستغفرون له .
٣. يصلي المؤمنون " صلّوا" ⟵ يدعون له.

۞ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة :١٥٩] في هذا النص القرآني يأتي الفعل "يلعن" مسندًا إلى الله ، ومسندًا إلى اللاعنين ، وهذا العطف يشعر بتغاير معنى الفعل مع اختلاف الفاعل((وقد كرر اللعن ؛ لأنَّ اللعن مختلف فإنه من الله التبعيد من الرحمة والسعادة ومن اللاعنين سؤاله من الله))[٢١] حينئذٍ يكون الفعل "يلعن" متحدًا في اللفظ وفي المفعول"هم" وفي الزمن النحوي الحاضر أو المستقبل ، ومختلفًا في المعنى كالآتي :

١. يلعن الله ⟵ يُبعد من رحمته.

٢. يلعن اللاعنون ⟵ يسألون اللهَ الإبعادَ من رحمته.

ب . التغاير بالحقيقة والمجاز: في هذه العلاقة الدلالية يكون التغاير بين المعنيين ناتجًا من انتقال الفعل الأصيل المنسوب إلى الله تعالى من المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي ؛ لكي يناسب مقام الفاعل الإلهي ، ويظلُّ الفعل التابع حاملًا المعنى الحقيقي للمناسبة بينه وبين فاعله المخلوق كما في النصوص القرآنية الآتية :

۞ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[التوبة : من الآية ٦٧] وقد فسّر الفعلان بـ((تركوا أمر الله يعني صار بمنزلة المنسي بالسهو عنه. فجازاهم الله بأن صيّرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته))[٢٢] وقيل : ((غفلوا عن ذكر الله وتركوا طاعته(فنسيهم) فتركهم من لطفه وفضله))[٢٣]. فيكون الفعل "نسي" حاملاً معنيين بحسب نسبته إلى فاعله :

١. نسي المنافقون اللهَ ⟵ غفلوا عنه + تركوا طاعته .

٢. نسي اللهُ المنافقين ⟵ تركهم من رحمته وثوابه .

حينئذٍ يتضح أنَّ الفعل "نسي" عندما أسند إلى الناس المنافقين بقي محتفظًا بمعناه الأول ؛ لأنَّ هذا المعنى يناسب شأن الفاعل وحالته ويحدث كثيرًا منه فعل النسيان بخلاف الله تعالى الذي شأنه العلم والإحاطة بكلّ شيء من غير غفلة أو سهو ؛

لذلك ينبغي تأويل الفعل "نسي" ليناسب الفاعل ، فينتقل الفعل من معناه الأصيل إلى معنى آخر هو الترك الذي تصحُّ نسبتُه إلى الله تعالى.

۞ ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤] فالفعل التابع "مكروا"((يعني أرادوا قتل عيسى "عليه السلام" "ومكر الله " يعني جازاهم جزاء المكر))[٢٤] فالفعل الأول معناه حقيقي إذ يصدر المكر والحيلة من الناس. ولكن((المكر من حيث إنّه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والإزدواج))[٢٥] فيكون الفعل "مكر" على قسمين "

التابع : مكروا ← احتالوا .

مَكَرَ

الأصيل : مكر الله ← جازاهم على مكرهم .

فالأول له معنى حقيقي يصدر من الفاعل التي يتصف بالمكر والحيلة وأعمال الشر ؛ لنقصه وضعفه. والثاني له معنى مجازي وهو جزاء الماكرين ؛ لأنَّ الفاعل الإلهي لا يصدر منه إلا الخير لكماله وشرفه.

۞ ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة : من الآية٧٩]فنجد الفعل التابع يدلُّ على معنى حقيقي ف((يعني المنافقين يهزؤون بالمطوعين " سخر الله منهم " أي يجازيهم على سخريتهم بأنواع العذاب"... ولما كان ضرر سخريتهم عائدًا عليهم جاز أنْ يقال " سخر الله منهم " لا أنه يفعل السخرية))[٢٦] ويترتب على هذا الفهم وجود معنيين :

الفعل التابع : يسخرون ← يستهزئون .

سَخِرَ

الفعل الأصيل : سخر الله ← يجازيهم على سخريتهم .

واختلاف المعنى راجع إلى ارتباط الفعل بالفاعل إذ الفاعل المخلوق يسخر ويستهزئ في على نحو الحقيقة . في حين أنَّ الله تعالى لا يسخر ولا يستهزئ . بل يحاسب ويجازي على هذا الفعل.

الخاتمة والنتائج: يستعمل النص القرآني الفعل الواحد كثيرًا. ويقصد به"الفعل المشترك في الأحرف والمختلف في الإسناد والنسبة لتعدّد الاستعمال" وقد قسم الباحث هذا الفعل على قسمين : الفعل الأصيل والفعل التابع. وأصالة الفعل تعني أنَّ الفعل ينسب إلى فاعله من غير حاجة في الفاعل إلى شيء آخر في إيجاد فعله. بل تكفي ذات الفاعل في تحقّق الفعل ، وهذا الفعل الأصيل مختصّ بالله تعالى على تفاصيل معرفية تجلّت في البحث منها :

١. الله تعالى ينسب إلى ذاته الفعل بالأصالة أي يفعل فعله بذاته ، ولا يستعين بغيره على فعله.

٢. إنَّ الفعل الإلهي أصيل ؛ لاعتماده على الذات الإلهية التي تتصف بجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا التي تكون منشأً ومصدرًا لأفعاله تعالى. والاتصاف الذاتي الدائم بالأسماء الحسنى هو منشأ أصالة الفعل لله سبحانه .

٣. تكثر الأفعال الأصيلة لله وتتنوّع لكثرة أسمائه وتنوّعها ؛ فكلُّ فعل مرتبط باسم من الأسماء الحسنى أو بأكثر من اسم طبقًا للتناسب بين الفعل وتلك الأسماء .

٤. لله تعالى أسماء جامعة للأسماء الحسنى مثل الاسم"الله" الذي يصدر منه كلُّ فعل : الخلق والحياة والموت والرزق والعلم والشفاء والرضا والتقدير والثواب والعقاب وغيرها ؛ لأنَّ "الله" فيه كلُّ الأسماء التي هي منشأُ لجميع الأفعال.

٥. هناك أسماء غير جامعة ويصدر منها فعل مختص بها . فالاسم المحيي يصدر منه فعل الإحياء ، ولا يصدر منه فعل الإماتة أو فعل العلم أو فعل الغضب . والاسم النافع يناسبه فعل العطاء ولا يصدر عنه فعل الضرر بل يصدر عن الاسم الضار ، ولا يصدر من الاسم الضار فعل الإحسان .

٦. الفعل التابع هو الفعل الذي ينسب إلى فاعله مع حاجة الفاعل والفعل إلى ذات أقوى تساعد الفاعل الضعيف على إنجاز فعله . وهذا الفعل التابع يشمل جميع أفعال المخلوقات ؛ لأنّها فقيرة في إنشاء أفعالها إلى الفاعل الأصيل الغني وهو الله تعالى.

٧. الفعل الأصيل مطلق لإطلاق الاسم الناشئ عنه ، فالفعل "علم" يكون مطلقًا ؛ لتعلّقه ورجوعه إلى الاسم العالم أو العليم وهو اسم واسعٌ لا حدَّ له. أو يكون قسم من الفعل الأصيل محدودٌ بحدود الاسم الإلهي الذي ينشأ عنه مثل فعل الغضب . فإنّه ليس مطلقًا لارتباطه بالاسم المنتقم . وذلك الغضب والانتقام يصل إلى الكافرين والمنافقين ... ولا ينال المؤمنين. ولكن يبقى هذا الفعل المحدود مرتبطًا باسم مطلق ؛ لأنَّ الاسم المحدود يرجع إلى ذلك الاسم المطلق. فإنَّ المنتقم ليس مستقلًا بانتقامه وغضبه بل يحكم عليه الاسم الأوسع وهو القدير أو العليم .

٨. الفعل التابع محدود بحدود فاعله ؛ وهو لا يستند إلى أسماء حسنى وصفات عليا في فاعله المحدود(المخلوق) ؛ لأنَّ فاعله فاقد لتلك الأسماء والصفات. بل يعتمد الفاعل المحدود بفعله على الفاعل الأصيل(الله) وأسمائه الحسنى في تحقيق فعله وإنجازه حتى يمكنه أنْ يتصف ببعض الأسماء الحسنى على نحو محدود ، ويبقى مستعينًا بالأسماء الحسنى لله تعالى وبحوله وبقوته كي ينجز أفعاله المحدودة.

٩. الفعل الأصيل له المرتبة العليا دائمًا. ولا يصل إلى مرتبته أيُّ فعل من الأفعال التابعة. بل الأفعال التابعة هي وفاعلوها متعلّقة بالفعل الأصيل وفاعله ومحتاجة إليه في كلّ لحظة من وجودها .

١٠. الفعل التابع يتخذ مراتب متعدّدة ؛ لتفاوت قابلية الفاعل على القيام بالفعل والتلبّس به. فالذي ينسب إليه الفعل "علم" تكون له مرتبة عالية كالأنبياء إذ علمهم أعلى من علم الآخرين ، وعلم الملائكة يكون أعلى من علم المؤمنين ، وعلم المؤمنين أعلى من علم المنافقين. وهكذا إلى أنْ تصل المراتب إلى مرتبة أدنى لا علم فيها "لا يعلمون شيئًا".

١١. السبب الكامن وراء إثبات الفعل الإلهي هو مناسبة دلالة الفعل للكمال وقبول متعلّقه لذلك الكمال. والسبب وراء نفي الفعل الإلهي هو عدم لياقة المتعلّق بالفعل للكمال الإلهي.

١٢. السبب في نفي نسبة بعض الأفعال إلى الفاعل الإلهي هو عدم مناسبة الأفعال نفسها لله تعالى وأسمائه الحسنى.

١٣. نفي الفعل المسند إلى الخلق في بعض الآيات يقصد به نفي الفعل الأصيل إذ المخلوق لا يحقّقُ الفعل الأصيل بذاته مستقلًّا ؛ لفقره وضعفه.

١٤. كان علاقتان معنويتان بين الفعلين الأصيل والتابع وهما الاشتراك المعنوي الأمر الجامع بين الفعل الأصيل والفعل التابع وهو وحدة المعنى ، فكلاهما يدلُّ على معنى واحد . فنسبة الفعل "رزق" إلى الله أو إلى غيره من المخلوقات تكون بمعنى واحد ، وكذلك أفعال : العلم والشفاء والإحياء والإماتة والإعطاء وغيرها. والتغاير المعنوي بسبب المناسبة بين الفعل وفاعله ، فقد انتقل الفعل الأصيل من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي لتتحقّق المناسبة بين هذا الفعل وبين فاعله الله سبحانه وتعالى.

الهوامش

١. الميزان في تفسير القرآن : ٨٩/٦.
٢. نفسه : ٣٦٠/٨.
٣. تفسير السلمي : ٢٤٨/١.
٤. التبيان في تفسير القرآن : ٣٢/٤. ومجمع البيان : ٤٢٥/٣.
٥. التبيان في تفسير القرآن : ٥٤٨/٩.
٦. تفسير الرازي : ١٤٤/١٦.
٧. فتح القدير : ١٠٢١/١٨.
٨ . جامع البيان في تأويل آي القرآن : ١٠٥/١٩.
٩. الميزان :٢٦٩/٦.
١٠ . التبيان في تفسير القرآن : ٢٦٤/٨.
١١. روح المعاني : ٥٦/٢٣.
١٢. جامع البيان :٣١٧/١.
١٣. تفسير الرازي :٢١٠/٢.
١٤. جامع البيان في تأويل آي القرآن : ٤٠٣/٥.
١٥. تفسير السلمي : ٩١/١
١٦. الميزان في تفسير القرآن : ١٣٥/١٥.
١٧. نفسه :١٤٠/١٩.
١٨. تفسير السمعاني :٢٥٥/٢ .

١٩. اللغة والمعرفة . صابر الحباشة : ٨١.
٢٠. ينظر : تفسير البحر المحيط : ٢٢٩/٧.
٢١. الميزان في تفسير القرآن :٣٨٧/١.
٢٢. التبيان في تفسير القرآن : ٢٥٣/٥.
٢٣. تفسير البيضاوي : ٨٨/٣.
٢٤. تفسير السمرقندي :٢٤٢/١.
٢٥. تفسير البيضاوي : ١٩/٢.
٢٦. التبيان في تفسير القرآن : ٢٦٧/٥.

المصادر والمراجع

*أنوار التنزيل وأسرار التأويل . لأبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي(ت ٦٩١هـ) تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م.

* البحر المحيط . لأبي حيّان محمد بن يوسف الأندلسي(ت٧٤٥هـ)دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض. ط١ ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م.

*التبيان في تفسير القرآن – لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت ٤٦٠ هـ)تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ – دار إحياء التراث العربي. بيروت – لبنان ١٢٠٩ هـ .

* تفسير السلمي . حقائق التفسير . لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي(ت٤١٢هـ) . تحقيق سيد عمران ، ط١ . دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م.

* تفسير السمرقندي . لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي(ت٣٨٣هـ)تحقيق د. محمود مطرجي ، دار الفكر . بيروت . لبنان(د:ت).

* تفسير السمعاني . لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني(ت٤٨٩ هـ). تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس. ط١ ، دار الوطن . الرياض . السعودية ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.

* التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . لمحمد بن عمر الرازي(ت٦٠٤هـ) ط١، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م.

* جامع البيان عن تأويل آي القرآن . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠ هـ)قدم له الشيخ خليل الميس ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . لأبي الفضل محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية. ط١ ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م.

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش. ط٤ ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.
* اللغة والمعرفة " رؤية جديدة" . صابر الحباشة . ط١ ، دار صفحات للدراسات والنشر. دمشق . سورية ٢٠٠٨م.
* مجمع البيان في تفسير القرآن – لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري . حقّقه وعلّق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، وقدّم له محسن الأمين العاملي . ط ١– منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .
*الميزان في تفسير القرآن . محمد حسين الطباطبائي . ط١ ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان ١٤١٧هـ. ١٩٩٧م.

Unit verb and the multiplicity of the actor in the Quranic

Aim of the research is the study of a single act,whichassigns to more than an actor in the Koran to understand the Quranic vision and relationships already competent actors. It was shown that the verb sections authentic act attributed to God. The reaction continuedA attributed to the creature. The inherent absolute act of launching an actor or limited up to the divine name that originates with him. The act limits the limited actor. The proof of the divine act is suitable denote the act of perfection and acceptance related to that perfection. And deny the act of divine is the lack of fitness on already Kamal Alalhe.otojd Alaguetan between Either authentic and the two subscription moral a unit of meaning, and covariance moral, Afternoon of the true meaning of the verb has been turned into a metaphorical sense; to materialize appropriate between this act and the doer of God .